من معالم العلاقة بين العربية والإعجاز العلمي في القرآن والسنة

د. محمد بن ناصر الشهري

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها -كلية الآداب- جامعة الملك سعود

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان دور اللغة العربية في التعبير عن المعجزة العلمية في القرآن والسنة انطلاقا من خصائص اللغة العربية الذاتية ؛ وقواعدها الخاصة، سواء من الناحية النحوية أم الصرفية أم البلاغية أم الدلالة المعجمية.

إن المعجزة العلمية قد يعبر عنها بأي لغة، وبأي أسلوب، ولكن هذا البحث محاولة لاستكشاف قدرات اللغة العربية الفائقة في تصوير المعجزة العلمية، وكيفية التعبير عنها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مما يجلي لنا بعض جوانب عظمة هذه اللغة، وقدراتها الكبيرة في التعبير الدقيق عن المعاني المرادة، مما يرشدنا إلى معرفة بعض أسباب اختيار الله سبحانه وتعالى لها لغة لكتابه الكريم، ولسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولدينه الموجهة للخلق أجمعين.

Some Aspects of the Relationship between Arabic and the Wondrous Nature of the Holy Quran and the Prophet>s Traditions

Dr. Muhammad N. AlShehri

Department of Arabic Language and Literature

Arts College- King Saud University

Abstract:

This research will attempt to study the role of Arabic Language in explaining the wondrous nature of the Holy Quran and the Traditions of the Prophet. It will elucidate how the Arabic Language was able to state clearly this wondrous nature; that because Arabic Language has characteristic features, which may explain why Almighty Allah has chosen Arabic to be the language of the Holy Quran and the Prophet Muhammad (peace be upon him).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلما كان القرآن الكريم معجزة للعالمين، ولما كانت معجزته هي كونه كتابا يتضمن بين دفتيه كلاما بليغا، بلغة عربية فصيحة - وهذا الكلام ذو خصائص معينة ، منها أنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله - فإن من أهم خصائصه قوته اللغوية، بتعبيراته الدقيقة، وألفاظه العذبة، وتصويره الرائع لمشاعر النفس البشرية، وتقلباتها وأحوالها في حياتها، وكل ذلك بواسطة قواعد اللغة العربية من نحو وصرف ومعانٍ وبلاغة وغيرها.

والقرآن الكريم وإن كان في أصله كتاب هداية للناس لمعرفة ربهم سبحانه وتعالى، ومعرفة شرعه، والحكمة من خلقهم، ومعرفة مآل هذه الحياة، ومصير بني آدم، إلخ ....، فإنه تناول كثيرا من فروع العلوم الكونية، والبشرية ، مبرهنا على إحاطة عميقة بكثير من جوانبها ، وهو وإن كان يقصر الحديث عن بعض التفاصيل الدقيقة للعلوم الكونية والبشرية ونحوها ، فلأن المقصود هو تقديم الدليل بأن مصدر هذا الحديث (القرآن الكريم) هو عالمٌ محيط بكل العلوم، وعارف بأدق دقائقها ، سبحانه وتعالى .

والقرآن يدعو للعلم دعوة صريحة، ويوجه الأنظار لمختلف العلوم، ومن يماري في أن القرآن لم يعن بالعلم فليتدبر آياته ليرى أن ألفاظ العلم قد تكررت في القرآن أكثر من ١٦٠ مرة، وأن آياته قد بلغت ٦٢٣٦ آية، منها حوالي ٧٥٠ آية كونية وعلمية، والباقي آيات للتوحيد والتشريع والعبادات والمعاملات وقصص الأنبياء، و....، إلخ [١] .

ولذلك فإن العناية باللغة العربية التي هي وعاء هذا الكتاب المعجز في غاية الأهمية ، للظفر بكنوز هذا الكتاب العظيم ، حتى يعم نفعها المسلمين وحتى غير المسلمين ، وأعظم ما يمكن الظفر به هو الهداية إلى المعرفة الحقة لمنزل هذا الكتاب العزيز، ومعرفة مراده في كتابه من دينه، ومراده من خلقه، وهذا كله بواسطة هذه اللغة الشريفة ، وكذلك فإننا سنكون قد ساهمنا في نصر هذه اللغة ، وتقويتها، والاستفادة من قدراتها الكبيرة، وتهيئة مستقبل عظيم لانتشارها وذيوعها في كل أصقاع الدنيا ، وخاصة في هذا العصر الذي قويت فيه وسائل الاتصال بين الأمم ، وسادت العولمة بكل إيجابياتها وسلبياتها على أمتنا المسلمة ، ومن ذلك لغتنا التي هي لغة كتاب الله عز وجل ، لذا كانت الحاجة ماسة لنصر هذه اللغة، والعمل على نشرها بكل وسيلة ممكنة، وإن من أعظم الوسائل: نشرها عن طريق العلم الذي لا يُسلِّم أهل

هذا العصر لشيء كما يسلمون له، وهذا ما سنرى شيئا منه في هذا البحث إن شاء الله .

هذا، ومما يحسن التنبيه عليه أنني إنما اخترت بعض النماذج من الآيات الكريمة والحديث الشريف في هذا البحث لسبب مهم جدا، وهو وجود صلة شديدة بين ما أوردت من صور الإعجاز في الآيات والحديث الشريف والتعبير عنها بأساليب شديدة الصلة بتكوين اللغة العربية وطبيعتها، مما يكون سببا في تجلية عظمة العربية من هذا الجانب، وهو القدرة على التعبير عن هذه المعجزات عن طريق كثير من خصائصها الدقيقة، والقادرة، والمحكمة، مما يرشدنا إلى بعض أسباب اختيارها لغة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والله ولي التوفيق .

خطة البحث :

وقد تكون البحث من مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، على النحو الآتي :

- مقدمة

- الفصل الأول :

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الإعجاز . المطلب الثاني : مناسبة المعجزة القرآنية لعالمية الرسالة الإسلامية . المطلب الثالث : الإعجاز العلمي بين المجيزين والمانعين .

الفصل الثاني : اللغة العربية والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المسائل النحوية ، وهي : ١ ـ الظرف " حِيْن " . ٢ ـ مرجع الضمير . ٣ـ التعريف والتنكير . ٤ ـ الإفراد والجمع . ٥ ـ الحال وصاحبها .

المطلب الثاني: وهو يتكون من شقين متداخلين:

أ ـ سعة المعاني اللغوية وتعددها للفظ الواحد ،وهي: ١ـ لفظ " تُثِير" . ٢ـ لفظ "يُكَوِّر" ٣ ـ لفظ " دحاها " و " طحاها " . ٤ ـ لفظ " عَلَقَة " .

ب ـ أحرف المعاني ووظيفتها الدقيقة ، ومنها : ١ـ " ثُم " . ٢ـ " الفاء " .

الخاتمة . الفهارس .

- الفصل الأول :

الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول، تعريف الإعجاز العلمي :

تمهيد:

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة المطهرة يدرك أنه لم يرد فيهما مصطلح المعجزة ، وذلك لأن هذا المصطلح لم يظهر إلا في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية الثالث، عند بدء تدوين العلوم الإسلامية والعربية، وإنما نجد أن القرآن الكريم قد جاء فيه ألفاظ أخرى، مثل كلمة (الآية) وذلك في مقام تأييد الرسل عليهم الصلاة والسلام بالدلائل لإقامة الحجة على أقوامهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ **[الأنعام ١٠٩]** . وكذلك ورد في القرآن الكريم كلمة (البينة) كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ ﴾ **[الأعراف ٧٣]** والبينة هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية . وكذلك جاء في القرآن الكريم كلمة (البرهان) كما في قوله تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ **[القصص ٣٢]** . والبرهان بيان للحجة، وهو أوكد الأدلة، ويقتضي الصدق لا محالة [٢] .

كما أننا نجد التعبير عن المعجزة أحيانا بـ (السلطان) كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ **[إبراهيم ١٠]** .

إلا أننا نجد أن العلماء قد اختاروا مصطلح المعجزة بدل الألفاظ الأخرى، ولعل السبب في ذلك هو إرادة إزالة الدلالة على الاشتراك اللفظي، حيث إن هذه الألفاظ تدل على معنى المعجزة، وتدل كذلك على معان أخرى، فكلمة (آية) مثلا تدل على معنى معجزة كما تقدم، وتدل على الآية من القرآن الكريم، وهي القطعة من القرآن الكريم لها بداية ونهاية مندرجة في سورة، كما في قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ **[البقرة ١٠٦]** وكذلك الآية بمعنى العلامة البارزة الدالة على وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ **[آل عمران ١٩٠]** وهكذا بقية الألفاظ ...[٣].

تعريف الإعجاز لغة : الإعجاز لغة : مشتق من العجز، والعجز الضعف أو عدم القدرة، وهو مصدر أعجز بمعنى : الفوت والسبق(٤) .

تعريف المعجزة اصطلاحا:

المعجزة في اصطلاح العلماء : أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي سالم من المعارضة (٥)

وإعجاز القرآن يقصد به : إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله ، أي : نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله (٦) .

المراد بالعلم : المقصود بالعلم هنا في هذا المقام العلم التجريبي، الذي تقوم دراسته على التجربة والنظر للوصول إلى الحقائق المتعلقة بهذا العلم (٧) .

المطلب الثاني:

مناسبة المعجزة القرآنية ـ بما تتضمنه من حقائق علمية ـ لعالمية الرسالة الإسلامية :

إن الله سبحانه وتعالى ما أرسل من نبي ولا رسول إلا جعل له معجزة تدل على صدقه في نبوته أو رسالته، تطمئن قلوب الناس بها، وتنشرح صدورهم لها، ويقبلون عليها فرحين مستبشرين، راغبين لا راهبين، ولولا المعجزة لاختلط الحق بالباطل، والنبي الصادق بالدعي الكاذب (٨) . ولما كان الرسل قبل محمد عليهم الصلاة والسلام يبعثون إلى أقوامهم خاصة ، ولأزمنة محدودة ، فقد أيدهم الله تعالى ببينات حسية مثل : عصا موسى عليه السلام، وإحياء الموتى بإذن الله تعالى على يد عيسى عليه السلام، وتستمر هذه البينات الحسية محتفظة بقوة إقناعها في الزمن المحدد لرسالة كل رسول، حتى إذا تطاول الزمن وضعف أثر الرسالة الصافي اختفت قوة الإقناع الحسية ، فعندها يبعث الله سبحانه وتعالى رسولا آخر بالدين الذي يرضاه ، وبمعجزة جديدة، وبينة مشاهدة . ولما ختم الله تبارك وتعالى النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، ضمن له حفظ دينه ، وأيده ببينة كبرى تبقى بين يدي الناس حتى قيام الساعة، قال تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾[النساء ١٦٦] قال ابن كثير ت (٧٧٤)هـ : ﴿أَنزَلَ أَنزَلَهُۥ﴾ : أي : في علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه ، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل "(٩) .

وقال صلى الله عليه وسلم : " ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "(١٠). قال ابن حجر ت (٨٥٢) هـ في شرح هذا الحديث : " ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه للعادة في أسلوبه ، وفي بلاغته ، وأخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، ويدل على صحة دعواه ، ... ، فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وُجِد ومن سيوجد "(١١) .

والإعجاز العلمي المنتشر في كثير من سور القرآن وآياته لم يظهر دفعة واحدة في عصر واحد، وإنما ظهر تباعا في عصور متطاولة ليكون القرآن دائما وأبدا معجزة ظاهرة، وآية بينة، كلما أَلِف الناس ما

فيه من المعجزة، وفترت هممهم عنها لإلفهم لها، ظهرت معجزة جديدة تلفت أنظارهم إليه، وتدلهم عليه، فتتجدد هممهم وتبعث نشاطهم من جديد (١٢) .

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي بين المجيزين والمانعين

انقسم العلماء في هذا إلى قسمين : مجيزين، ومانعين .

فأما المجيزون فيشترطون لذلك شروطا (١٣) والمانعون لهم حججهم أيضا ، (١٤) ولم أوردها هنا بناء على شرط المجلة وهو التقيد بأربعين صفحة .

الفصل الثاني :

اللغة العربية والإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول ، المسائل النحوية :

إن اللغة العربية هي الوعاء والقالب الذي ضم القرآن الكريم - كلام الله تعالى - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن خلال خصائصها المتعددة : الصوتية ، والدلالية ، والتركيبية ، .... ، تم التعبير عما في هذين المصدرين من أمور عظيمة ؛ من عقيدة ، وتشريع ، وأخلاق ، وأخبار الماضين ، وأنباء ما سيأتي ، وما تضمناه من تصريحات أو إشارات علمية لها نفع عظيم للناس ، ولها صلة مباشرة بموضوع الإعجاز العلمي في هذين المصدرين العظيمين . لهذا فإنني في هذا البحث سأعرض لبعض مسائل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مبينا دور اللغة العربية في عرض مسألة الإعجاز العلمي وأدائها وبيانها، حتى يزداد إيماننا بكتاب ربنا، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وحتى نتعرف أيضا على قيمة مهمة من قيم لغتنا الحبيبة، وحتى يتعرف عليها غيرنا أيضا، مما يكون سببا في انتشارها وازدهارها، وتحبيبها إلى أبنائها، إضافة إلى إبراز عظمتها، وتجلية بعض خصائصها التي جعلتها اللغة الوحيدة التي شرفت بأن تكون لسان خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام، ووعاء لكتاب ربنا تبارك وتعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا موضوع هذا الفصل، وهو صلب البحث وجوهره ، وتتجلى مسائل الإعجاز في المسائل الآتية :

١- وظيفة الظرف " حِيْن " :

لقد ذكر الله تعالى أن في القرآن الكريم أنباء نعرف المقصود منها ، لأنها بلسان عربي مبين، ولكن حقائقها لا تتجلى إلا بعد حين (١٥) قال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾[ص٨٧، ٨٨] فما المراد بـ " الحين " ؟ إن " الحين " عند النحويين ظرف من ظروف الزمان المبهمة ، ومعنى كونه مبهما : أنه لا يدل على وقت بعينه ، أو هو ما وقع على قدر من الزمان غير

معين(١٦) فهو إذاً يدل على زمن غير مقدر بابتداء معين ولا نهاية معروفة . وكذا عند المفسرين ، قال ابن جرير الطبري : " إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين، من غير حد منه لذلك الحين بحد، ولا حد عند العرب للحين" (١٧) وهكذا تتجلى عظمة لغتنا الحبيبة ممثلة في هذه الكلمة (الظرف) التي تضمنت هذا المعنى المتناهي الدقة والعمق .

إن الإنسان لا يسعه أمام هذه المعجزة إلا أن يسلم بأن هذا الكلام لا يمكن أن تكون من عند بشر، وإنما هو تنزيل من حكيم خبير، أحاط علمه بكل شيء، الله لا إله إلا هو، عظمت حكمته حينما اصطفى هذه اللغة الشريفة لغة لكتابه الكريم، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ مرجع الضمير:

ولبيان المعجزة القرآنية المرتبطة بهذه المسألة النحوية سأورد هذه الصورة المرتبطة بهذه الخاصية التي هي من أهم خصائص لغتنا الشريفة، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [فصلت ٣٧] . فعند التأمل في هذه الآية الكريمة نلحظ أنه قد ذكر فيها اسمان هما " الشمس والقمر " ثم ذكر ضميرهما بعد ذلك متصلا بالفعل " خلقهنّ " وهو نون الإناث، وهو ضمير لجمع الإناث كما هو واضح، بينما الاسمان اللذان يعود عليهما مثنى وهما : الشمس والقمر، ولو طابق الضمير ما عاد إليه لكانت الآية هكذا " خلقهما " ، لكن الآية بخلاف هذا، فكيف ذلك ؟ لقد فهم جمهور المفسرين والمعربين الأولون منها أن الضمير وقع بصيغة الجمع لأنه عائد على جمع وهو: الليل والنهار والشمس والقمر، قال الطبري : " ... فله اسجدوا، وإياه اعبدوا دونهما، فإنه إن شاء طمس ضوءهما فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا، ولا تبصرون شيئا . وقيل: ﴿ واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾ ـ فجمع بالهاء والنون ـ لأن المراد من الكلام : واسجدوا لله الذي خلق الليل و النهار والشمس والقمر، وذلك جمع، وأنث كنايتهن [ضميرهن] ـ وإن كان من شأن العرب إذا جمعوا الذكر إلى الأنثى أن يخصوا كنايتهما بلفظ المذكر فيقولوا : أخواك وأختاك كلموني، ولا يقولون : كلمنني ـ" (١٨) .

وكذا قال السمرقندي ت(٣٧٥) هـ (١٩)، والزمخشري ت(٥٢٨) هـ (٢٠)، وأبو حيان ت (٧٤٥) هـ (٢١) وغيرهم .

أما في العصر الحاضر وبعد ظهور الكشوف العلمية، فقد كشف العلم عن أن عدد الشموس (النجوم) في الكون أكثر من مئة بليون بليون نجم (شمس)، وأن هذه الشموس قد تدور حولها كواكب، وهذه الكواكب قد تدور حولها أقمار، وبهذا نرى أن الآية الكريمة قد أشارت في إعجاز لغوي وعلمي بالغ إلى

حقيقة تعدد الشموس والأقمار، حيث عاد الضمير بصيغة الجمع . كما أن أداة التعريف " أل " في " والشمس والقمر " صادقة الدلالة بوجهيها على ما ذهب إليه القدماء والمعاصرون ، فهي لتعريف العهد والجنس. كما سيأتي شرحه في المسألة القادمة. فهي للعهد، أي : للشمس والقمر المعهودين [المعروفين] لنا وقت نزول القرآن بدليل النهي عن السجود لهما . وهي أيضا صالحة لأن تكون أداة لتعريف الجنس، أي جنس الشموس والأقمار جميعا، بدليل عود ضمير الجمع عليهما، وبهذا فإن الآية الكريمة تمثل إعجازا مزدوجا من الناحية اللغوية والعلمية(٢٢) .

٣ـ التعريف والتنكير:

لكي نتعرف على الوظيفة العظيمة التي يؤديها التعريف والتنكير لبيان معجزة علمية كبيرة ، لها صلة مباشرة بحياة الإنسان وهي الصحة والمرض، والماء الذي هو أساس الحياة ، سأورد نموذجين يوضحان هذه المسألة، التي يظهر فيها دور العربية الرائد ، في بيان بعض المسائل ذات الطابع العالمي ، وهذان النموذجان :

أ ـ روى البخاري ت (٢٥٦) هـ (٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه ت (٥٧) هـ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام" . وروى مسلم ت (٢٦١) هـ(٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من داء إلا وفي الحبة السوداء منه شفاء إلا السام " والسام الموت .ولقد وقع في هذين الحديثين ونحوهما جدل طويل بين بعض شراح الحديث ، وذلك لأنه يوجد في ظاهره إشكال ، وهو : التعارض بين ظاهر الحديث والواقع، فظاهر الحديث يبين أن الحبة السوداء تشفي من كل داء، بينما الواقع المشاهد المحسوس يقطع بأنها لا تشفي من كل داء، بل تشفي من بعض الأمراض ـ بإذن الله ـ شفاء كاملا، وتؤثر دون ذلك في بعض الأمراض، وفي بعضها الآخر لا تؤثر فيه، إذاً فهناك تعارض بين ظاهر الحديث الصحيح الثابت، والواقع المحسوس المشاهد !فلقد حاول شراح الحديث المؤمنون بصحة الحديث عمن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم التماس أوجه للتوفيق بين ظاهر الحديث الصحيح وبين الأمر الواقع (٢٥) أرى أنه ليس هناك داع لتكلفها ما دام أن الأمر أيسر من كل ذلك ، وهو العناية بقواعد اللغة العربية التي جاءت في نطاقها هذه النصوص الشريفة، حتى يفهم مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحتى ننتفع من ذلك على أتم وجه ممكن .

وقالت طائفة أخرى ـ ممن لا يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ مناقضة للفريق الأول : إذاً نغلق المعامل والمختبرات الطبية والمستشفيات ، ونتداوى بالحبة السوداء ! يقولون هذا استهزاء وسخرية

بالحديث الشريف ، وبنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ـ عليهم من الله ما يستحقون ـ فخسروا من جهتين : من جهة أنهم ازدادوا ضلالا عن الحق ، ومن جهة انهم حُرِموا الانتفاع بفوائد العلاج بالحبة السوداء وغيرها مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الحقيقة أن هذا الجدل حول الحديث ليس في محله ، لأنه لا يوجد بين الحديث والواقع الملموس تعارض أصلا ، وإنما هناك ما ظاهره التعارض ، وهذا التعارض المتوهم راجع إلى كلمة واحدة في الحديث وهي " شفاء " وإنما نشأ هذا الوهم من ضعف العلم ببعض قواعد اللغة العربية أو خفاء، وبيان ذلك :

أن كلمة " شفاء " وردت مُنَكَّرة ـ غير مقترنة بـ " أل " ـ وهناك فرق بين قوله صلى الله عليه وسلم : " شفاء " وبين قولنا : الشفاء ، بتعريفها بأل ، فهي قد وردت في الأحاديث نكرة في سياق الإثبات ، والنكرة في سياق الإثبات لا تقتضي العموم ، فعلى هذا تفيد الشياع، ولكن من غير إفادة للشمول ، وعلى هذا فيكون المعنى : إن فيها نسبة من الشفاء ، ولكنها شائعة غير محددة ، لذا نجدها تؤثر في بعض الأمراض فتشفي منها شفاء كاملا ، وتؤثر في بعضها الآخر أقل من ذلك ، وفي بعضها الآخر لا تؤثر فيه بشيء . أما لو كانت كلمة " شفاء " في الأحاديث مُعرّفة هكذا : الشفاء ، لكان ذلك نصا في أنها تفيد العموم والاستغراق ، أي أن الشفاء الذي فيها يستغرق جميع الأمراض ، فيكون التعارض حاصلا بين الحديث والواقع ، ولكن لا سبيل إلى ذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وبهذا يتضح أنه لا تعارض بين الحديث والواقع بعد أن تجلت الحقيقة، وذلك بمعرفة الوظيفة المهمة التي برزت من خلال خاصية دقيقة ورائعة من خصائص لغتنا الفريدة الكثيرة .

ب ـ نجد في كتاب الله تعالى أنه قد ورد ذكر فاحشتين عظيمتين في آيتين ، فالأولى : الزنا ـ نسأل الله العافية ـ وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء ٣٢] والأخرى : اللواط ـ نسأل الله العافية ـ في قوله تعالى :﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف ٨٠] وهاتان الفاحشتان قد استقر فحشهما وقبحهما لدى ذوي الفطر السليمة شرعا، وعقلا، وحسا، و.....، إلا أنه يحسن أن نتعرف على براعة العربية في بيان قبحهما، وبيان الفرق بينهما ! إننا إذا تأملنا الآيتين السابقتين نرى أنه قد جاء وصف كل منهما بأنه فاحشة ، ولكن الزنا وصف بالنكرة " فاحشة " ووصف اللواط بالمعرفة " الفاحشة " فهل هناك من حكمة في ذلك ؟ وما دور العربية في هذا ؟ والجواب : نعم : هناك فرق بين الفاحشتين، لذا اختلف وصفهما، ومن هنا ندرك دقة العربية وعظمتها ، وقد بين ذلك ابن القيم ت (٧٢٣) هـ بعبارة بليغة موجزة فقال : " ومن تأمل قوله

سبحانه [وذكر الآيتين السابقتين] تبين له تفاوت ما بينهما، فإنه سبحانه نكّر الفاحشة في الزنى، أي: هو فاحشة من الفواحش، وعرّفها في اللواط، وذلك يفيد أنه جامع لمعاني اسم الفاحشة ، كما تقول : زيد نعم الرجل، ونعم الرجل زيد ، أي : أتأتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل أحد ، فهي لظهور فحشها وكماله غنية عن ذكرها ، بحيث لا ينصرف الاسم إلى غيرها، وهذا نظير قول فرعون لموسى [عليه السلام] : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾ أي : الفعلة الشنعاء الظاهرة المعلومة لكل أحد " (٢٦) . ولبيان هذا أقول : إن " أل" هنا - عند النحويين - جنسية ، وهي هنا تفيد شمول خصائص الجنس على سبيل المبالغة ، وذلك لأن " أل " التي كذلك ضابطها : أنه يصح أن يحل محلها كلمة " كل " مجازا (٢٧) فكأن فاحشة اللواط جمعت خصائص جنس كل الفواحش مجازا على سبيل المبالغة . فوا عجبا لهذه اللغة العظيمة التي أودع فيها هذه القدرة العظيمة على التعبير البليغ المعجز ! حقا إنها لغة رائعة، ولعل في هذا ما يمنحنا الدليل تلو الدليل على سر الاصطفاء الإلهي لها لتكون وسيلة الخطاب بين الخالق - سبحانه وتعالى - وبين خلقه على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم ؛ عبر توالي العصور وكر الدهور، وإلى أن يشاء الله عز وجل ! .

٤ - الإفراد والجمع :

تتجلى هذه القضية عند الحديث عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾[سورة الإنسان، ٢] .

أولا : لمحة عن تصور البشر كيفية تخلق الجنين قبل الإسلام وعند غير المسلمين بعده :

لم يكن للناس في الماضي علم بحقيقة بداية خلق الإنسان وتكوينه في رحم أمه ! فأما العرب قبل الإسلام فهم أمة أمية لا علم لهم بهذا ، وكذلك الحال لدى الأمم الأخرى التي يوجد عندها بعض الحضارة، ثم جاء أرسطو أشهر فلاسفة اليونان قبل الميلاد بأربعة قرون ، حيث أفرد علم الأجنة ببحث خاص بناء على ملاحظاته لكثير من الطيور والحيوانات، وخلاصة رأيه تتمثل في نظريتين :

١- أن الجنين يكون جاهزا في ماء الرجل، فإذا أدخل الرحم نما كما تنمو البذرة .

٢- أن الجنين يتخلق من دم الحيض، حيث يقوم المني بعقده، ويكون عمله كعمل الإنفحة باللبن حيث تعقده جبنا ، وليس للمني في إيجاد الولد عمل قط سوى المساعدة كدور الإنفحة .

ثم اختار هو النظرية الثانية التي لم تسلم من الهجوم والنقاش من أصحاب النظرية الأولى ومؤيديها. وبقي النقاش محتدما بين أنصار النظريتين حوالي ألفي سنة دون أن يطرأ جديد . وظل الأمر كذلك إلى أن اخترع المجهر، حيث اكتشف " هوك " و زميله " هام " الحيوان المنوي في مني الإنسان

عام ١٧٦٧ م . ثم اكتشف العالم " جراف " حويصلة البييضة، إلا أن أحدا لم يتمكن من معرفة دور كل من المني والبييضة في تخليق الجنين . واستمر الأمر هكذا إلى عام ١٨٣٩ م حيث قدم " شليدن " و " شوان " نظريتهما المتعلقة بالخلية، وفي عام ١٨٥٩ م عرف العلماء أن الحيوان المنوي إنما هو خلية حية، وكذلك البييضة، وفي عام ١٨٧٥ م اكتشف " هيرتوج " تلقيح الحيوان المنوي للبييضة، وأن الجنين يتكون منهما، ثم توالت الاكتشافات من عام ١٨٨٣م إلى ١٩١٢ م حيث اكتشفت الكروموسومات وانقسامها وخصائصها، والجينات وعملها .

وهكذا رأينا أن العالم قد بقي قرونا طويلة يتخبط في أمر الجنين وتكوينه، إلى أوائل القرن العشرين، حيث تمكن العلماء من اكتشاف الخلية الأولى المكونة من البييضة الملقحة بالحيوان المنوي، حيث تختلط فيها الكروموسومات مكونة الخلية الأمشاج (٢٨) . إذاً لم يكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم - زمن نزول القرآن الكريم - أي علم عن تكوين الجنين، ولو كان القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم لما تكلم إلا بمعارف أهل عصره، ولكن هيهات ! فإنه تنزيل من حكيم حميد .

ثانيا : عند المسلمين

إن المسلمين ليس لهم علم إلا ما علموه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا عدنا إلى القرآن الكريم وجدناه يطرح صورة جديدة لكيفية تكوين الجنين بعيدة كل البعد عن تلك التصورات الساذجة والخاطئة عن بداية تكوين الجنين، بل تخالف معتقدات البشر إلى ما بعد نزوله بثلاثة عشر قرنا . إننا نجد القرآن يطرح حقيقة جديدة عن تكون الإنسان في رحم أمه وهي : أن الجنين يتكون من نطفة أمشاج، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ . فما المراد بالنطفة ؟ وما المراد بالأمشاج ؟ المراد بالنطفة : الجنس الشامل لماء المرأة وماء الرجل، أو للبييضة والحيوان المنوي (٢٩) . الأمشاج : هي الأخلاط المتكونة من ماء الرجل وماء المرأة، ويصير المعنى : من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة (٣٠) . قال ابن عباس رضي الله عنهما ت (٧١) هـ في الآية ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾: من ماء الرجل وماء المرأة حيث يختلطان، وقال : هو نزول الرجل والمرأة يمشج بعضه ببعض (٣١) . وقال الإمام الطبري في تفسيره للآية : " إنا خلقنا ذرية آدم من نطفة، يعني : ماء الرجل وماء المرأة، وقوله : ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ يعني : أخلاط، واحدها مشج ومشيج، يقال منه : إذا مشجت هذا بهذا خلطته، وهو ممشوج به، ومشج : أي مخلوط، ثم قال : وهو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة " (٣٢) .

النكتة النحوية : تتجلى النكتة النحوية هنا في أن قوله تعالى: ﴿ نُّطْفَةٍ ﴾ مفرد، وقد وصف بقوله تعالى : ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ وصورته صورة الجمع، ومع ذلك يجوز أن يكون بدلا . وعلى القول بأنه صفة - نعت -

فهو نعت حقيقي، والمراد بكونه حقيقيا أنه يدل على صفة في الموصوف نفسه، وبما أنه كذلك فإنه يجب أن يوافق المنعوت في أربعة من عشرة : في واحد من الرفع والنصب والجر، وفي واحد من التعريف والتنكير، وفي واحد من الإفراد والتثنية والجمع (٣٣) . والذي يهمنا هنا الأمر الأخير وهو الموافقة في واحد من الإفراد والتثنية والجمع، فإننا إذا نظرنا إلى الآية الكريمة وجدنا الأمر بخلاف ذلك. مع أن النعت هنا حقيقي. فالمنعوت ﴿ نُّطْفَةٍ ﴾ مفرد، والنعت ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ صورته صورة الجمع، وقد اختلفت آراء المفسرين والمعربين للقرآن الكريم إزاء هذا إلى عدة آراء :

الأول : أن ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ وقع صفة للمفرد، لأن المفرد ﴿ نُّطْفَةٍ ﴾ في معنى الجمع (٣٤) كقوله تعالى: ﴿ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾[الرحمن، ٧٦] فـ ﴿ رَفْرَفٍ ﴾ اسم جنس جمعي مفرده رفرفة، وقيل : بل هو اسم جنس إفرادي، لذا صح وصفه بالجمع ﴿ خُضْرٍ ﴾ (٣٥) والثاني : أن كل جزء من النطفة نطفة، فاعتبر ذلك، فجاز الوصف بالجمع (٣٦) والثالث : أن ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ لفظ مفرد غير مجموع، ولذلك وقع صفة للمفرد (٣٧) . والذي يظهر أن الرأيين الأولين هما المراد. مع أن الأول قريب من الثاني. حيث إنه يصدق على المعنى المراد في الآية. والله أعلم. وذلك لأن فيهما دلالة على أن الجنين يتكون من مجموع ماء الرجل والمرأة (الحيوان المنوي والبييضة) لأن قولهم : إن ﴿ نُّطْفَةٍ ﴾ في معنى الجمع، وقولهم : إن كل جزء من النطفة نطفة قد أفاد هذا المعنى المتقدم بأدق تعبير وأجمله وأوجزه، وأما القول الأخير وهو أن ﴿ أمشاج ﴾ لفظ مفرد، لذا وصف به المفرد، فهو وإن كان صحيحا لغة إلا إنه ليس المراد. والله أعلم. إذا كان المراد بالنطفة هنا ماء الرجل فقط، لأنه ثبت أن الإنسان لا يخلق منه فقط، وعلى هذا فلا يحمل معنى الآية عليه ما دام أنه وجد لها وجه آ خر، والله أعلم . فماذا يا تري يقول علماء الأجنة في القرن العشرين وقد عجز البشر عن معرفة حقيقة بداية تكوين الجنين ما يزيد عن ألفي عام حتى وصلوا إلى ما أخبر عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا، فكان موافقا لما اكتشفوه، في حين أنه لم يكن أحد من أهل الأرض زمن نزول القرآن يعلم أية حقيقة علمية عن بداية تكوين الجنين إنه لا يسع أحد من أهل الأرض عرف هذه الحقيقة إلا أن يقول : ربنا آمنا بك ، وأن هذا الكلام ليس إلا من عندك، لا إله إلا أنت .

٥ ـ الحال وصاحبها :

لقد كان الناس في الزمن القديم يشاهدون النجوم والكواكب في السماء تبرق وتلمع وتظهر وتختفي، وكذا الشمس والقمر، ولكنهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن سر تعلقها في السماء هكذا دون عمد تستند إليها أو تعتمد عليها . وقد شاع بين الناس في تلك الأزمنة كثير من العقائد الفاسدة الزائفة، عن هذه النجوم والكواكب، فزعم بعضهم أنها ثقوب في السماء ترى منها أنوارها، وزعم بعضهم أنها قناديل

معلقة في السماء، أو مسامير لامعة مثبتة فيها، إلى غير ذلك من المعتقدات الساذجة، المبنية على الأوهام . ولكن القرآن الكريم المعجز ورد فيه عبارات وإشارات إلى ما لم يكن يعرفه البشر ، وهو أن السموات مرفوعة بعمد لكنها غير مرئية للبشر، وهو ما عرفه البشر في العصر الحديث، وذلك قانون الجاذبية، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد، ٢] ، وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [لقمان، ١٠] . ففي الآيتين مطابقة لما يراه الناس في الزمن القديم، فإنهم كانوا يشاهدون عالما كبيرا قائما بذاته في الفضاء، فيه الشمس والقمر والنجوم، ولكنهم في الوقت نفسه لم يروا سارية أو عمودا تقوم عليه تلك الكواكب والنجوم . إلا أن الإنسان في العصر الحديث يجد في هذه الآية تفسيرا لمشاهداته التي تثبت أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد مرئية، في الفضاء الفسيح، ولكنه أدرك أن هناك عمدا غير مرئية تتمثل في قانون الجاذبية، الجاذبية التي تمكن هذه الأجرام من البقاء في أماكنها المحددة لها، فلا تسقط على الأرض ولا يصطدم بعضها ببعض .

وبهذا يظهر لنا سر التعبير القرآني بـ ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ مما يدل على وجود عمد غير مرئية، وهي ما يتم بفعل قانون الجاذبية . وقد أجاز المفسرون والمعربون لكتاب الله في مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ وجهين، ومرجع ذلك إلى القدر الذي وصلوا إليه من العلم عن الكون، حيث إن الناس لم يعرفوا قانون الجاذبية إلا في العصر الحديث، فقد أجازوا أن يكون الضمير عائدا على العمد، فتكون جملة ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ في موضع جر، صفة لـ ﴿ عَمَدٍ ﴾ فيكون المعنى : أن ثمة عمدا ولكن لا ترى، وأجازوا أن يكون عائدا على ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ فتكون جملة ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ حالا من ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي : خلق الله السموات حالة رؤيتهم لها بغير عمد، والمعني : أنه ليس هناك عمدٌ ألبتة (٣٨) والراجح - والله أعلم - هو الرأي الأول، حيث ثبت علميا أنه يوجد قوة غير مرئية سماها العلماء قوة الجاذبية، وهي القوة التي تمسك الأجرام السماوية فتبقى في أماكنها، كما أنها تبقي الأشياء ملتصقة أو قريبة من تلك الأجرام، وعند التأمل يدرك الإنسان أن هذا من أكبر نعم الله تعالى على الإنسان، حيث أودع الله سبحانه وتعالى هذه القوة الهائلة في الكون، ولكنه جعلها غير مرئية لحكم عظيمة منها : حتى لا يتأذى الإنسان منها لو كانت محسوسة أو مرئية .

المطلب الثالث : وهو يتكون من شقين متداخلين :

أ - سعة المعاني اللغوية وتعددها للفظ الواحد ، وهي :

١ - لفظ " تُثِير " . ٢ - لفظ " دحاها " و " طحاها " . ٣ - لفظ " عَلَقة " . ٤ - لفظ " يُكَوِّر " .

ب - حروف المعاني ووظيفتها الدقيقة ، ومنها : ١- " ثُم " . ٢ - " الفاء " .

إن لسعة المعاني اللغوية وتعددها دورا مهما في التعبير عن المعجزة العلمية ، وعرضها في أعمق صورة ممكنة، مما يساعد على تجلية حقيقتها من ناحية، ويبين لنا قدرات لغتنا الكبيرة، حيث ظهر للسابقين لها معنى مناسب لما وصل إليه علمهم ومعارفهم، بينما ظهر معنى آخر للمعاصرين إما مخالفاً لما ظهر للسابقين، وإما شارحا ومعطيا لمعنى أشمل وأوسع من السابق، بناء على ما وصل إليه العلم في هذا العصر من تقدم علمي هائل، فمن هذه الألفاظ :

أولا : لفظ " تُثِيرُ " : ويتجلى هذا عند الحديث عن قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر، ٩] .

وبيان هذا أنه عند تأمل هذه الكلمة " تثير " نجد أنها تشير إلى أثر الرياح في تكوين السحاب، ومن معاني الإثارة في اللغة العربية : السطوع والظهور، قال ابن فارس : ت (٣٩٥) هـ " يقال منه : أثرت السيف آثره أثْرا : إذا جلوته حتى يبدو فِرِنْدُه [أي : حده] " (٣٩) وبهذا يتبين أن الرياح تثير السحاب بمعنى أنها تظهره بعد خفائه بإذن الله تعالى، ثم يسوقه الله حيث يشاء، وهذا المعنى - والله أعلم - أولى من القول بأن المراد بالإثارة : الإظهار الناتج عن تغيير مكان السحب بانتقالها من مكان لآخر، لأن الإظهار بهذا المعنى يستفاد من مدلول الفعل ﴿ فَسُقْنَٰهُ ﴾ إذاً فالسوق مرتب على الإثارة، وينبغي ألاّ تقدم النتيجة على المقدمة، لأن الآية قد رتبت السوق على الإثارة، ولم ترتب الإثارة على السوق، وبهذا يتبين أن معنى الإثارة أو الإظهار المقصود منه في هذه الآية الإظهار الناتج عن تكوين السحب نفسها، وليس عن انتقالها كما فهم المفسرون (٤٠) ومن المعروف علميا أن السحاب يتكون من بخار الماء الموجود في الهواء نتيجة تسخين الشمس لمياه البحار والأنهار، وهذا البخار يكون غير مرئي في الظروف العادية، ولكن الرياح تظهره (تثيره) بوسيلتين هما : حمله إلى مناطق التكثيف الباردة في الجو العلوي، وتزويده بأيونه التكثيف كذرات الغبار، والأيونات والتي تتكون في معظمها من مساحيق دقيقة تذوب في الماء، أو تعمل على تجميع قطراته مثل ملح الطعام، وكلوريد الكالسيوم، و....، وغير ذلك من الذرات المتطايره من سطح الأرض والبحر مع تيارات الرياح فتتوافر بذلك نوى التكاثف فتتكون قطرات المطر التي تتجمع في السحب التي تصبح بذلك مرئية ظاهرة، وبهذا يتضح معنى التعبير القرآني ﴿ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾(٤١) والله أعلم .

ثانيا : لفظ " دحاها " و " طحاها " :

تحدث عن هذين اللفظين بعض من تكلم في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وذلك عند الحديث عن قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات، ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾

[الشمس، ٦] فكان لهم رأيان : الأول : أن المراد بالأرض هنا الكرة الأرضية، وذلك لأن الأرض ذكرت في مقابل السماء في الآيتين السابقتين، وهما قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾ [النازعات، ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ [الشمس، ٥] وعلى هذا يكون المراد بدحو الله سبحانه وتعالى للأرض الإشارة لدوران الأرض ، وهذا على سبيل التشبيه. ولله المثل الأعلى. وبيان ذلك أن الدحو في الاستعمال اللغوي يتضمن دفعا من الداحي، وحركتين للمدحو، إحداهما على خط مسارٍ ما، والأخرى حركة دورانية حول نفسه . والأرض كرة مدحوة في الفضاء ذات حركتين : حركة في مسار دائري حول الشمس، وحركة حول نفسها (٤٢).

والثاني : أن المراد بالأرض هنا سطح الأرض اليابس، أي القارات، وأن الله سبحانه وتعالى دحاها أو طحاها أي : باعد بينها، وهو ما يعرف بنظرية التزحزح القاري، أو نظرية تباعد القارات، على النحو المعروف اليوم في الأوساط العلمية، حيث طرحت هذه النظرية لأول مرة في العالم عام ١٩١٥م، حيث أعلن خبير طبقات الأرض الألماني " الفيرد واجنز " أنه لو قربت القارات جميعا لالتصقت ببعضها . وحيث إن نظرة سريعة لسواحل البحار المختلفة يدلنا على صحة هذا الأمر، كأن يوجد جبال متماثلة عمرها الأرضي واحد ، وكأن نجد فيها دواب وأسماكا ونباتات متماثلة، ونحو ذلك (٤٣) ويب دو أن الرأيين مقبولان، وذلك لأن تحديد أحد الرأيين يرجع إلى المراد بالأرض، هل المراد الكرة الأرضية ؟ أم المراد سطح الأرض ؟ والذي يظهر أن كلا من الأمرين صحيح . والله أعلم . ومما ساعد كل فريق على القول بما رأى هو سعة المعاني اللغوية لهذه الكلمة، هذه السعة المتصلة بسعة اللغة العربية ذاتها وعظمتها، فهاتان الكلمتان لهما معان كثيرة ولكنها متقاربة، وهي تفيد في مجملها معنى : " النثر والتسوية والدوران " ، حيث يقال : " هو يدحو بالحجر بيده، أي : يرمي به ويدفعه " فلعل هذا على تشبيه الكرة الأرضية بالحجر المرمي به المدفوع من قبل الداحي [الرامي] كما تقدم آنفا . " والأُدْحِي من منازل القمر، شبه بأُدحيّ النعام [موضع بيضها في الرمل] والأُدْحيّ [أيضا] : منزل بين النعائم وسعد الذابح يقال له : البلدة "، " والمداحي : هي أحجار أمثال القرصة [وهنا يلحظ معنى الدوران] كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الحجارة، فإن وقع الحجر فيها غَلَب صاحبها، وإن لم يقع غُلِب " (٤٤) ويقال : " دحى المطر الحصى عن وجه الأرض : أي : كشفه (٤٥) . ويقال للاعب بالجوز : أبعد المدى وادحه، أي : ارمه وأزله عن مكانه (٤٦) وقال ابن فارس : " خلق الله الأرض مجتمعة ثم دحاها أي : بسطها ومدها ووسعها (٤٧) ويقال للفرس : مر يدحو دحوا، وذلك إذا رمى بيده رميا . والمدحاة :

كمسحاة : خشبة يدحو بها الصبي، فتمر على الأرض لا تأتي على شيء إلا أجحفته ، (٤٨) وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ت (٧٣) هـ : " فدحا السيل فيه بالبطحاء " (٤٩) أي رمى وألقى، وقال ابن الأعرابي : هو يدحو بالحجر بيده، أي يرمي به ويدفعه (٥٠) .

وأما " طحا " ففي لسان العرب : المادة كلها تدور حول البسط والامتداد والذهاب، وبعضهم جعلها مثل الدحو (٥١) وقال الراغب ت (٢٠٥ أو ٢٦٥) هـ : الطحو كالدحو، وهو بسط الشيء والذهاب به، قال تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ قال الشاعر :

طحا بك قلب في الحسان طروب [بُعَيْد الشباب عَصْرَ حانَ مشيبُ] (٥٢)

أي : ذهب (٥٣) . وبهذا يتبين أن معنى " دحا " : قذف، أو رمى،، أو دحرج، أو دفع، وكلها بمعنى الحركة والإبعاد والانجراف، وقريب منها كلمة " طحا " وهذا هو المفهوم نفسه لكلمة [drift] الإنجليزية التي استعملت في التعبير عن هذه النظرية الجغرافية الحديثة .

ثالثا : لفظ " العَلَقَة " : تكرر ذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم مرات عديدة ، في بيان المرحلة الثالثة من خلق الإنسان ، من نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القيامة ٣٧، ٣٨] فما المراد بـ " العلقة " ؟ إنه بالعودة للمعاجم اللغوية نجد أن كلمة " علقة " وردت بالمعاني الآتية :

أ ـ لفظ " علقة " مشتق من الفعل " عَلِقَ " وهو الالتصاق والتعلق بشيء ما (٥٤) . ب ـ العلقة دودة في الماء تمتص الدم، وتعيش في البرك، وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصق بها، والجمع : علق (٥٥) . ج ـ وعلقت الدابة إذا شربت الماء فعلقت بها العلقة (٥٦) د ـ والعلق : الدم عامة، والشديد الحمرة، أو الغليظ أو الجامد (٥٧) .هـ ـ والعلقة تطلق على الدم الرطب (٥٨) .

من خلال هذا نجد أن اللفظ القرآني العربي " علقة " قد تضمن خمس حقائق علمية، وإيضاحها على النحو الآتي (٥٩) :

تلتصق النطفة التامة التكوين بجدار الرحم في اليوم السادس، في بداية طور الحرث الانغراسي حتى تنزع تماما، وتستغرق هذه العملية أكثر من أسبوع حتى تلتصق النطفة بالمشيمة البدائية بواسطة ساق موصلة، تصبح فيما بعد الحبل السري، وفي أثناء عملية الحرث تفقد النطفة شكلها لتتهيأ لأخذ شكل جديد هو العلقة، الذي يبدأ بتعلق الجنين بالمشيمة، وقد وصف القرآن الكريم هذا التعلق بالعلقة ، وهذا يتفق مع المعنى الأول الذي هو التعلق بالشيء ، الذي هو أحد مدلولات كلمة " علقة " .

أما إذا أخذنا المعنى الحرفي الدقيق لكلمة " علقة " وهو : دودة عالقة، فإننا نجد أن الجنين يفقد

شكله المستدير، ويستطيل حتى يأخذ شكل الدودة، ثم يبدأ في التغذي من دماء الأم، تماما مثلما تفعل الدودة العالقة، إذ هي تتغذى من دماء الكائنات الأخرى، ويحاط الجنين بمانع مخاطي تماما مثلما تحاط الدودة بالماء، ويبين اللفظ القرآني " علقة " هذا المعنى بوضوح، طبقا لمظهر الجنين وملامحه في هذه المرحلة، وطبقا لمعنى : " دم جامد أو غليظ " للفظ العلقة، نجد أن المظهر الخارجي للجنين وأكياسه يتشابه مع الدم المتخثر الجامد الغليظ ، لأن القلب الأولي وكيس المشيمة، ومجموعة الأوعية الدموية القلبية تظهر في هذه المرحلة . وتتكون الدماء المحبوسة في الأوعية الدموية حتى وإن كان سائلا ، ولا يبدأ الدم في الدوران إلا في نهاية الأسبوع الثالث ، وبهذا يأخذ الجنين مظهر الدم الجامد أو الغليظ، مع كونه دما رطبا . وتتدرج الملامح المذكورة آنفا تحت المعنيين المذكورين للعلقة " دم جامد " أو " دم رطب " .

أما الفترة الزمنية التي يستغرقها التحول من نطفة إلى علقة : فإن الجنين خلال مرحلة الانغراس أو الحرث يتحول من مرحلة النطفة ببطء، إذ يستغرق نحو أسبوع منذ بداية الحرث (اليوم السادس) إلى مرحلة العلقة، حتى يبدأ في التعلق (اليوم الرابع عشر أو الخامس عشر) . ويستغرق بدء نمو الحبل الظهري حوالي عشرة أيام (اليوم السادس عشر) حتى يتخذ الجنين مظهر العلقة .

- دور حرف العطف " ثم " في بيان هذا التطور :

إن الدلالات الواردة في الآيات المذكورة - فيما يتعلق بالفترة التي تتحول فيها النطفة إلى علقة - أتت من حرف العطف " ثم " الذي يدل على انقضاء فترة زمنية فيها تراخٍ - أي طول - حتى يتحقق التحول إلى الطور الجديد . وهكذا فإن التعبير القرآني بكلمة ﴿ علقة ﴾ يعد وصفا متكاملا دقيقا عن الطور الأول من المرحلة الثانية لنمو الجنين، ويشتمل على الملامح الأساسية الخارجية والداخلية . ويتسع معنى كلمة " علقة " فيشمل وصف الهيئة العامة للجنين كدودة عالقة، كما يشمل الأحداث الداخلية كتكوين الدماء والأوعية المقفلة . كما يدل لفظ " علقة " على تعلق الجنين بالمشيمة .

وإضافة إلى ذلك فقد أظهر القرآن الكريم التحول البطيء من النطفة إلى العلقة باستعمال حرف العطف " ثم " الذي يفيد الترتيب والتراخي (٦٠) . فمن ذا الذي أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر الذي تعد معرفته من المستحيلات في زمنه صلى الله عليه وسلم ؟ بل وقبله وبعده بمئات القرون، وكيف أمكن التعبير عن هذه الحقائق ؟ وأي لغة هذه التي أمكن بواسطتها التعبير بهذه الدقة المتناهية ؟ إن الإجابة واضحة كالشمس في رائعة النهار، إنه الله جل جلاله الذي أحاط بكل شيء علما، ثم إنها هذه اللغة العربية، التي اصطفاها الله تبارك وتعالى وعاء لكتابه الكريم، ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

رابعا : لفظ "يُكَوِّر" : لقد ورد في القرآن الكريم ذكر الليل والنهار بعبارات واضحة مشرقة، يسمعها السامع فلا ينكر معنى من معانيها مهما بلغ به الجهل بالمعارف والعلوم شرعية أو طبعية، ولذلك كانت متناسبة تماما مع معارف الناس حين نزل القرآن، ولكنها تحتوي على إشارات إلى معارف أخرى لم يكن للناس في ذلك الوقت معرفة بها، ألا وهي الإشارة إلى كروية الأرض ودورانها (٦١) .وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾ [الزمر، ٥]

أ ـ جاء لفظ التكوير في المعاجم اللغوية بالمعاني الآتية :

١ ـ الكاف والواو والراء أصل يدل على دور وتجمع (٦٢) والكور : لوث العمامة وإداراتها على الرأس (٦٣) والله سبحانه وتعالى كور الليل على النهار ، أي : أدخل هذا في هذا (٦٤) وأصله من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها ، وقيل تكوير الليل والنهار أن يلحق أحدهما بالآخر ، وقيل : تكوير الليل والنهار تغشية كل واحد منهما صاحبه ، ويقال زيادته في هذا من ذلك (٦٥) .

٢ ـ وكورت هذا على هذا ، وذا على ذا مرة : إذا لويت، ومنه قوله تعالى : ﴿ يكور الليل ﴾ هذا عند الخليل بن أحمد ت (١٧٥) هـ (٦٦) وعند ابن فارس (٦٧) : أي يدير هذا على ذاك، ويدير ذاك على هذا، وزيد في هذا من ذاك، وفي ذاك من هذا . وعند الصاحب بن عباد (٦٨) أي : يغشي الليل النهار.

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ [التكوير، ١] قيل : جمع ضوءها ولف كما تلف العمامة (٦٩) وقيل كورت : غورت (٧٠) وقيل : اضمحلت وذهبت (٧١) وقال قتادة ت (١١٧ أو ١١٨) هـ: أي : ذهب ضوءها (٧٢) وقال عكرمة : نزع ضوءها، وقال مجاهد ت (١٠٤ أو غيرها) هـ : تدهورت، وقال الربيع بن خثيم ت (١٠٢) هـ : رمي بها ويقال دهورت الحائط إذا طرحته حتى يسقط (٧٣) والمراد :طويت كطي السجل (٧٤) . ٤ ـ ويقال : طعنه فكوره : إذا ألقاه مجتمعا (٧٥) . ٥ ـ كور المتاع : جمّعه وشده (٧٦) . ٦ ـ الكور : الرحل لأنه يدور بقارب البعير (٧٧) . ٧ ـ والكور : مجمرة الحداد المبنية من الطين التي توقد فيها النار، وهو الذي تحمى فيه الحديد، يقال : اتخذ القين [العبد] كورا وكيرا : موقدا للنار، وزقا للنفخ (٧٨) . ٨ ـ الكور : الزيادة (٧٩) . ٩ ـ الكور : الإسراع (٨٠) . ١٠ ـ والكُورة ـ بالضم ـ : المدينة والصقع (٨١) . لأنه يدور على ما فيه من قرى (٨٢) . ١١ ـ والكور : حفر الأرض (٨٣) . ١٢ ـ والكِوارة ـ بالكسر ـ ضرب من الخمرة تجعلها المرأة على رأسها (٨٤) أو لوث تلتاثه المرأة بخمارها (٨٥) . ١٣ ـ وكرت بالكرة : ضربتها بالصولجان (٨٦) . ١٤ ـ وكورت الشيء : إذا لففته على وجه الاستدارة (٨٧) .

ب ـ معاني التكوير في كتب التفسير :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ ٱتَّخَذُوا ﴾ ورد لفظ ﴿ يُكَوِّرُ ﴾ عند علماء التفسير على ثمانية معان، هي : ١ ـ يعيد من هذا على الآخر جزءاً فيستره (٨٨) ٢ ـ يجريان متعاقبين لا يفتران ، كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا (٨٩) وعن السدي: يجيء بالنهار ويذهب الليل، أو يذهب النهار ويجيء بالليل (٩٠) ٣ ـ إشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما (٩١) ٤ ـ يلقي هذا على هذا (٩٢) ويكور ما نقص من الليل دخل في النهار، وما نقص من النهار دخل في الليل (٩٣) ومنتهى النقصان تسع ساعات، ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة (٩٤) ٥ ـ طرح الشيء بعضه على بعض (٩٥) وألقى بعضه على بعض (٩٦) و﴿ يُكَوِّرُ ﴾ يحمل كلا منهما على الآخر (٩٧) وعن مجاهد : يدهور الليل على النهار ويدهور النهار على الليل (٩٨) ٦ ـ يغشيه حتى يذهب ضوءه أو يغشيه حتى يذهب ظلمته (٩٩) ٧ ـ عن مقاتل : يسلط ، وهو انتقاص كل واحد منهما من صاحبه (١٠٠) ٨ ـ يذهب ويبقي الآخر مكانه (١٠١) وأن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه (١٠٢) .

اجتهادات العلم الحديث :

في الآية المتقدمة وهي قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ ٱتَّخَذُوا ﴾ بيان لحقيقتين من كبريات الحقائق الكونية وهما : كروية الأرض، ودورانها حول نفسها، قد اجتمعا في آية واحدة، " وهكذا في حركة دائبة : يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل .... واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ، ويعين نوع طبيعة الأرض وحركتها، وكروية الأرض ودورانها يفسران هذا التعبير تفسيرا أدق من أي تفسير آخر لا يستصحب هذه النظرية " (١٠٣) وإيضاح ذلك على النحو الآتي (١٠٤) :

١ ـ أن هذه الآية تدل على تأكيد كروية الأرض، فهي ترشدنا إلى كروية الأرض من جهة، وإلى دورانها حول نفسها من جهة أخرى، فهي تبين حقيقة وهي : دوران الأرض محوريا حول نفسها، وكرويتها، وهو ما لم يكتشفه الإنسان إلا في العصر الحديث، وذلك لأن كلا من الليل والنهار يلتف على الأرض مستديرا كما تلف العمامة حول الرأس مستديرة، فالتكوير لا يكون إلا التفافا حول شيء كروي .

٢ ـ من المعروف أن الفضاء مظلم بطبيعته، وأن ضوء النهار ينجم عن اعتراض غلاف الأرض الجوي لأشعة الشمس، وهذا الغلاف على هيئة قشرة من كرة، مما يلقي بعض الضوء على معنى الآية المذكورة آنفا، حيث إن فيه إشارة إلى تكوين جو الأرض أو محيط الغلاف الجوي، ومن الظواهر التي ألفها الناس اختلاف الليل والنهار باختلاف الزمان والمكان .

٣ ـ لفظ التكوير يصف انزلاق الليل والنهار كأنهما نصف كرة تماما، ولف الشيء حول كرة هو التكوير، أو صنع الشيء على شكل كرة، فالله جعل الليل والنهار يحيطان بالكرة فهما مكوران حولها في كل وقت.

٤ ـ إن هذه الآية تؤكد لنا أن الأرض تدور حول نفسها، فينتج الليل والنهار، لأن نصف الأرض يكون تارة مواجها للشمس وتارة أخرى في ظلام الكون، وهذا كله مستفاد من المعاني اللغوية الواسعة للفظ " التكوير " .

ب ـ حروف المعاني ووظيفتها الدقيقة ، ومنها :١." ثُم " .٢ ـ " الفاء " .

وهذا المطلب متداخل مع المطلب السابق، ففيه حديث عن سعة المعاني لبعض الألفاظ، غير أن الجديد في هذا الحديث عن بعض أحرف المعاني، وبيان وظيفتها المهمة في تأدية المعنى، وبيان المعجزة العلمية في القرآن الكريم، إضافة لبيان دور لغتنا العظيمة في التعبير عن المعجزة القرآنية، وقد تجلى ذلك في الحديث عن المعجزة العلمية في الوصف القرآني لتكوين السحاب الركامي، ودور العربية في بيان ذلك (١٠٥) من خلال النظر في خصائصها ومقارنة ذلك بما وصل إليه علم الأرصاد الجوية الحديث عن كيفية تكوين (١٠٦) وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور ٤٣] .ولكي يتضح دور العربية جليا، فإن مسألة تكوين السحاب الركامي تحتاج إلى بيان ، حسب ما بينه علم الأرصاد الجوية الحديث، وبالمقارنة مع الآية الكريمة ، ولذلك سأبدأ ببيان المعاني اللغوية والتفسيرية وذلك على النحو الآتي :

١ ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ ذكرت المعاجم اللغوية أن مادة " زجى" تعني سوق الشيء أو دفعه برفق (١٠٧) وهذا ما فهمه المفسرون من الآية، قال ابن كثير : " يذكر تعالى أنه يسوق السحب بقدرته أول ما ينشئها وهي ضعيفة ، وهو الإزجاء " (١٠٨) . وقال أبو السعود ت ٩١٥ هـ : " الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة " (١٠٩) . وقال أبو حيان : " ومعنى يزجي يسوق قليلا قليلا ، ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والإبل " (١١٠) . وقال الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ : " الإزجاء السوق قليلا ، والمعنى أنه يسوق السحاب سوقا رفيقا " (١١١) وهذا المعنى الذي ذكره المفسرون هو المعنى الذي قرره علماء الأرصاد الجوية الحديث في الخطوة الأولى من تكوين السحاب الركامي (١١٢) حيث يبدأ بسوق الرياح قطعا من السحب الصغيرة إلى مناطق التجميع ، ويؤدي سوق قطع السحاب إلى زيادة كمية بخار الماء في مسارها ـ وخاصة حول منطقة التجمع ـ وهذا السوق ضروري لتطور السحب الركامية في مناطق التجمع(١١٣) .

٢ - ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾

بين علماء اللغة أن التأليف هو : الجمع مع الترتيب والملاءمة (١١٤) .

وأما المفسرون ، فقال الزمخشري ت (٥٣٨) هـ : " ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا [قطعا متفرقة] فيضم بعضه إلى بعض، وجاز ﴿ بَيْنَهُۥ ﴾ وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه " (١١٥) . وقال القرطبي : " أي يجمعه عند إنشائه ليقوى ويتصل ويكثف " (١١٦) . وقال ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ : " أي يضم بعضه إلى بعض، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ، والسحاب لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع " (١١٧) . وقال الطبري : " وتأليف الله السحاب جمعه بين متفرقها " (١١٨) . وهذا اللفظ الذي في كتاب الله تعالى للدلالة على المرحلة الثانية في نظام تكوين السحاب الركامي يندرج تحت هذا المعنى العلمي الذي شاهده علماء الأرصاد، ففي هذه الحالة تتألف السحب المتعددة لتكون سحابا واحدا، ويبلغ التأليف بين السحب أن تصبح كيانا واحدا، ويحدث كذلك تأليف بين أجزاء السحاب الواحد ، كما أشار إلى ذلك الزمخشري ، أخذا من المعنى القرآني (١١٩) . هذا وفي قوله تعالى : ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ إعجاز لم يكن للناس قبل العصر الحديث أن يعرفوه، وبيان ذلك أن العلم الحديث قد كشف عن أن السحاب مكهرب، أي أن كل سحابة تحمل شحنة كهربية، كما أثبت ذلك فرنكلين ت (١٧٥٢) م، فمن المعروف علميا أنه إذا وجدت سحابتان سالبتان فإنهما تتنافران، كما هي طبيعة المتماثلين من الشحن السالبة والموجبة، وبناء على هذا القانون كان من المفترض ألا تتحد سحابتان في الجو إذا كانتا مشحونتين بشحنة واحدة، ويترتب على هذا ألا يتركب السحاب مما يؤدي إلى قلة الأمطار، ولكن الله تعالى بقدرته يسوق السحاب بواسطة الرياح ويؤلف بينه ولو كان ذا شحنة واحدة متشابهة، وحينها تكبر السحابة وتتراكم بعضها فوق بعض حتى تصير كالجبال الشامخة . وهذا سر قد كشفه العلم الحديث لم يكن للإنسان أبدا أن يعرفه في العصر القديم لجهله بهذه الحقائق (١٢٠)

- دور حرف العطف " ثم " في هذه المرحلة :

لكي تتم الخطوة السابقة وهي الانتقال من مرحلة الإزجاء لقطع السحب إلى من مرحلة التأليف يحتاج الأمر إلى وقت يطول أو يقصر ؛ ولذلك نرى أن الحرف الذي استعمل في القرآن لدلالة على هذه العملية هو حرف العطف " ثم " (١٢١) الذي يفيد الترتيب والتراخي في الزمن ، أي وجود مهلة زمنية تطول أو تقصر (١٢٢) وهذا ما يحدث فعلا للسحابة .

٣ - ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾:

الركم يأتي في اللغة بمعنى إلقاء الشيء بعضه فوق بعض (١٢٣) وكذا قال المفسرون (١٢٤) . وهذه

هي المرحلة الثالثة من مراحل تكوين السحاب الركامي المذكورة في الآية (١٢٥) وهي تقابل ما بينه علماء الأرصاد في مرحلة ركم السحاب ، حيث وجدوا أنه إذا التحمت سحابتان أو أكثر فإن تيار الهواء الصاعد داخل السحابة يزداد بصفة عامة، ويؤدي ذلك إلى جلب مزيد من بخار الماء من أسفل قاعدة السحابة ، والذي بدوره يزيد من الطاقة الكامنة للتكثيف، والتي تعمل على زيادة سرعة التيار الهوائي الصاعد دافعا بمكونات السحابة إلى ارتفاعات أعلى، وتكون هذه التيارات أقوى ما يمكن في وسط السحابة، وتقل على الأطراف مما يؤدي إلى ركم هذه المكونات على جانبي السحابة، فتظهر كالنافورة أو البركان الثائر، الذي تتراكم حممه على جوانبه . وإجمالا فإن تجميع قطع السحب يؤدي إلى زيادة ركمه، وبالتالي إلى زيادة سمكه، التي تدل على قوة هذا السحاب من ناحية إمطاره ورعده وبرقه ، بل نجد أن السحاب الذي نحن بصدده يسمى ركاماً لأن عملية الركم فيه أساسية، وتفرقه عن باقي أنواع السحاب .

- دور حرف العطف " ثم " في بيان هذه المرحلة :

من المعلوم أن عملية سوق السحاب قد تستغرق بضع ساعات ، بينما تستغرق عملية التجمع أقل من ذلك - حوالي ساعة أو أقل - لذا استعمل حرف العطف الدال على الترتيب والتراخي في الزمن وهو حرف العطف " ثم " (١٢٦) .

٤ - ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾

﴿ ٱلْوَدْقَ ﴾ هو المطر عند جمهور المفسرين كما قال الشوكاني (١٢٧) . ﴿ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ في هذا اللفظ قراءة أخرى وهي ﴿ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ وقد بين المفسرون معنى ﴿ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ فقالوا : من فتوقه ومخارجه (١٢٨) . وقال القرطبي ت (٦٧١) هـ : " وخلال جمع خلل، مثل : جبال وجبل، وهي فُرَجهُ ومخارج القطر منه " (١٢٩) . وقال ابن كثير : " يخرج من خلاله أي : من خلله، وكذا قرأها ابن عباس، والضحاك وغيرهم " (١٣٠) . وهذا الذي أشارت إليه الآية الكريمة هو ما قرره علماء الأرصاد من مراحل لنزول المطر في السحاب الركامي .

- دور حرف العطف " الفاء " في بيان هذه المرحلة :

هذه مرحلة تعقب المرحلة السابقة وهي مرحلة الركم، فبعد أن يضعف الرفع في السحاب أو ينعدم - وهو الذي كان يسبب الركم - ينزل المطر على الفور، لذا نجد أنه استعمل حرف العطف " الفاء " الذي يفيد الترتيب والتعقيب ، أي حصول ما بعدها عقب ما قبلها مباشرة، وبضعف عملية الرفع إلى أعلى أو انعدامها تتكون مناطق في السحاب لا تقوى على حمل قطرات المطر إلى أعلى بسبب ثقلها ، فتخرج من مناطق الخلل أو الضعف في جسم السحابة (١٣١) .

٥ - ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾

قال أبو السعود : " ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ من الغمام، فإن كل ما علاك سماء ﴿ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ أي : من قطع عظام تشبه الجبال في العظم، كائنة فيها، وقوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَرَدٍ ﴾ مفعول ﴿ وَيُنَزِّلُ ﴾ على أنّ ﴿ مِن ﴾ تبعيضية، والأوليان لابتداء الغاية، على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى بإعادة الجار، أي : ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها بعض برد " (١٣٢) . وقال البيضاوي ت ٦٨٥هـ (١٣٣) والشوكاني (١٣٤) بمثل ما قال أبو السعود أيضا، إلا أن البيضاوي اعتبر ﴿ مِن ﴾ الثالثة بيانية، فقال : " ﴿ مِنۢ بَرَدٍ ﴾ بيان للجبال، والمفعول محذوف، أي: ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا " .وقال ابن الجوزي : " ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ مفعول الإنزال محذوف تقديره : وينزل من السماء من جبال فيها من برد بردا، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه . و ﴿ مِنۢ ﴾ الأولى لابتداء الغاية، لأن ابتداء الإنزال من السماء، والثانية للتبعيض، لأن الذي ينزله الله بعض من تلك الجبال ، والثالثة لتبيين الجنس ، لأن جنس تلك الجبال جنس البرد " (١٣٥) وهذا الذي فهمه هؤلاء المفسرون الذين نقلنا أقوالهم في الآية هو ما كشف عنه العلم، فلا بد أن يكون السحاب في شكل جبلي يسمح بتكوين الثلج في المناطق العليا منه، ليسمح بتكوين الماء الشديد البرودة - الذي سيتحول إلى مزرعة للبرَد عندما يشاء الله - في المنطقة الوسطى من السحابة، وأن البرد يتكون عندما تمكث نواة ثلجية لفترة زمنية كافية وتحتوي على ماء شديد البرودة - ماءٌ درجة حرارته تحت الصفر حتى ٤٠ م - . وتحت هذه الظروف المواتية فإن البرَد ينمو بتعدد اصطدامه مع قطرات الماء الشديد البرودة، والتي تتجمد بمجرد ملامسته، فلا بد أن يكون من تلك السحابة شيء من برَد ﴿ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ ويكون المعنى والله أعلم : وينزل من السماء برَدا من جبال فيها شيء من برَد، والجبال هي السحب الركامية التي تشبه الجبال، وفيها شيء من برَد، وتلك البذور الأولى للبرَد (١٣٦) .

٦ - ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾

- دور الضمير " الهاء " في ﴿ بَرۡقِهِۦ ﴾ في بيان المعجزة العلمية :

يبين الله تعالى أن للبرَد برقا شديد اللمعان، فالضمير في ﴿ بَرۡقِهِۦ ﴾ يرجع إلى أقرب مذكور، وهو البرد، وسنا البرق : شدة بريقه وضوئه، يذهب بالأبصار أي : يخطفها من شدة الإضاءة (١٣٧) حيث إن البرَد يقوم بتوزيع الشحنات الكهربائية في جسم السحابة أثناء صعوده وهبوطه، ثم يقوم بالتوصيل بين الشحنات الكهربائية المختلفة ، فيُحدث تفريغا هائلا ، إذاً نجد أن البرق قد نُسب إلى البرَد في كتاب الله تعالى (١٣٨) لكن لشدة خفاء سبب حصول البرق فقد نسب المفسرون البرق إلى السحاب (١٣٩)

. وإن كان السحاب يشتمل على البرد في كلام المفسرين. ولم نجد من نسب هذا إلى البرد، مع أن المعنى ظاهر في الآية، لعود الضمير إليه (١٤٠) .

الخاتمة :

وهكذا رأينا في هذه الجولة التي طوفنا فيها حول بعض قضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ؛ رأينا بعض جوانب عظمة لغتنا الخالدة ، حيث إن أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تقوم أساسا على النصوص القرآنية، التي تحمل بين ثناياها تصريحات أو إشارات علمية ، لذلك كان لابد للباحث في هذا الميدان أن يقف على مدلولات الألفاظ اللغوية ذات العلاقة بمسار البحث في هذا المجال ، الأمر الذي يستدعي الرجوع إلى كتب النحو ، ومعاجم اللغة ، وكتب التفسير ، وكتب الغريب في اللغة، وغيرها للإحاطة بالمعاني المتعددة للفظ الواحد، وكذلك معرفة القواعد النحوية والصرفية التي يتبين بها معاني التراكيب المختلفة للجمل ، وكذا الأدوات النحوية . وخاصة حروف المعاني . حتى تفهم قضايا الإعجاز العلمي على أفضل وجه ممكن ، مما يكون سببا في حصول النفع العام للبشرية، وخاصة في ميدان هدايتها إلى معرفة خالقها ، ومعرفة شرعه المعرفة الحقة ، الذي هو الغاية من خلق البشر وإيجادهم في هذه الحياة الدنيا، وهذا كله من أقوى الأسباب لتوسع اللغة العربية ونشرها في هذا العصر، عصر العولمة .

الهوامش:

١- ينظر : القرآن والعلم الحديث ص ٢٤ ـ ٢٥ ، والكون والإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد ١، ص ١٠ .
٢- ينظر : مفردات القرآن، للراغب، ص ٥٨ ـ ٥٩ .
٣- ينظر : مباحث في إعجاز القرآن ص ٣١ ـ ١٤ .
٤- ينظر : مفردات القرآن، للراغب، ص ٤٨٤، ولسان العرب ٣٦٩/٥ ، ٣٧٠ ، ومجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد ١ ، ص ١٠ .
٥- ينظر : تفسير القرطبي ٩٦/١، وفتح الباري ٦٢٢/٨ ـ ٦٢٣ .
٦- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي، العدد ١، ص١٠ .
٧ - ينظر : مجلة الإعجاز العلمي، العدد ١، ص١٠ .
٨- ينظر : المعجزة القرآنية ١٥ .
٩- تفسير ابن كثير١/٥٢٥ .
١٠- ينظر : البخاري مع الفتح ٦١٩/٨ ، حديث ٤٩٨١.
١١- فتح الباري ٦٢٣/٨، وينظر مجلة الإعجاز العلمي، العدد ١، ص١١ .
١٢- ينظر : المعجزة القرآنية ٧ـ٨ .
١٣- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي، العدد ١، ص ١٥ ـ ١٦ .
١٤- ينظر : المصدر السابق، ص ١٦ .
١٥- ينظر : المصدر السابق ص ١٨ .
١٦- ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٤١/٢ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١٠٣/٢ .
١٧- تفسير الطبري ١٢١/٢٣ .
١٨- جامع البيان في تفسير القرآن ٧٧/١١ .
١٩- ينظر : تفسير السمرقندي ١٨٤/٣ .
٢٠- ينظر : الكشاف ٢٠٠/٤ .
٢١- ينظر : البحر المحيط ٤٩٨/٧ .
٢٢- ينظر : الكون والإعجاز العلمي في القرآن ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
٢٣- البخاري مع الفتح ١٥١/١٠ ، ح ٥٦٨٨ ،كتاب الطب، باب الحبة السوداء .
٢٤- أخرجه مسلم، ح ٢٢١٥ ، ١٧٣٥/٤ كتاب الطب، باب التداوي بالحبة السوداء .
٢٥- ينظر : إرشاد الساري ٣٦٥/٨، ٣٦٦، وفتح الباري ١٠ /١٥٢ .
٢٦- الداء والدواء، لابن القيم ص ٢١١ .
٢٧- ينظر : أوضح المسالك، لابن هشام ص ٣٤ .
٢٨- ينظر : المعجزة القرآنية ٢٧٦ ـ ٢٧٨ .
٢٩- ينظر : المعجزة القرآنية ص ٢٧٨ .
٣٠- ينظر : الكشاف ٦٦٦/٤، والدر المصون ٥٩٣/١٠، والمعجزة القرآنية ص ٢٧٨ .
٣١- ينظر : الكشاف ٦٦٦/٤، والبحر المحيط ٣٩٣/٨ .
٣٢- جامع البيان، وينظر: المعجزة القرآنية ص ٢٧٩ .
٣٣- ينظر : أوضح المسالك ص ١١٧، والهمع ١١٧/٣ ـ ١١٩ .

٣٤- ينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٧٥، والكشاف ٤/٦٦٦، والبحر المحيط ٨/٣٩٣، والدر المصون ١٠/٥٩١ .
٣٥- ينظر : مشكل إعراب القرآن ٢/١٠٨، والبحر ٨/٣٩٣ ، والدر المصون ١٠/١٨٦ .
٣٦- ينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٧٥، والبحر المحيط ٨/٣٩٣ ـ ٣٩٤، والدر المصون ١٠/٥٩١ .
٣٧- ينظر : الكشاف ٤/٦٦٦، والدر المصون ١٠/٥٩١ ـ ٥٩٢ .
٣٨- ينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦٠ ، ومشكل إعراب القرآن ص ٣٩٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/٤٧، والمعجزة القرآنية ص ١٨١ ـ ١٨٢، ومباحث في إعجاز القرآن ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .
٣٩- معجم مقاييس اللغة ١/٥٦، وينظر : الصحاح ٢/٥٧٤، وتاج العروس ٣/ ٤
٤٠- ينظر : الكون والإعجاز العلمي في القرآن ص ٢٠٣ .
٤١- ينظر : المصدر السابق ٢٠٢، ٢٠٣ .
٤٢- ينظر : مباحث في إعجاز القرآن ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .
٤٣- ينظر : المعجزة القرآنية ص ٢٢٥ .
٤٤- اللسان ١٤/٢٥٢ .
٤٥- الصحاح ٦/٢٣٣٤، واللسان ١٤/٢٥٢ .
٤٦- ينظر : أساس البلاغة ١٨٤، واللسان ١٤/٢٥٢ .
٤٧- مجمل اللغة لابن فارس ١/٣٤٨ .
٤٨- ينظر : مجمل اللغة لابن فارس ١/٣٤٨، واللسان ١٤ /٢٥٢ .
٤٩- رواه البخاري، ينظر : البخاري مع الفتح ١/٦٧٦، ح ٤٨٤ .
٥٠- ينظر : اللسان ١٤ /٢٥٢ .
٥١- ينظر : الصحاح ٦/٢٤١١، واللسان ١٥/٤ ـ ٥ .
٥٢- من الطويل، وقائله : علقمة الفحل، ينظر : طبقات فحول الشعراء ١/١٣٩، والأغاني ١٥/١٠٩ .
٥٣- ينظر : مفردات القرآن للراغب ص ٢/٤٥٠ .
٥٤- ينظر : الصحاح ٤/ ١٥٢٩ ، واللسان ١٠/٢٦١، والمصباح ص ٥٨٢ .
٥٥- ينظر : الصحاح ٤/ ١٥٢٩، واللسان ١٠/٢٦٧، والمصباح ص ٥٨٢ .
٥٦- ينظر : الصحاح ٤/ ١٥٢٩، واللسان ١٠/٢٦٧، والمصباح ص ٥٨٢ .
٥٧- ينظر : الصحاح ٤/ ١٥٢٩، واللسان ١٠/٢٦٧، والمصباح ص ٥٨٢ .
٥٨- ينظر : تفسير القرطبي ١٢ /١٠، وتفسير ابن الجوزي ٥/٢٩٧، والبحر المحيط ٦/٤٦٨ .
٥٩- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ٢/١٥ ـ ١٧ .ومباحث في إعجاز القرآن ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
٦٠- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ٢/١٦ ـ ١٧ .
٦١- ينظر : المعجزة القرآنية ص ١٨٥، ومباحث في إعجاز القرآن ص ١٨٧ .
٦٢- ينظر : معجم مقاييس اللغة ٥/١٤٦.
٦٣- ينظر : اللسان ٥/١٥٥، وتاج العروس ٣/٥٣٠ .
٦٤- ينظر : اللسان ٥/١٥٦، وتاج العروس ٣/٥٣٢.
٦٥- ينظر : اللسان ٥/١٥٦، وتاج العروس ٣/٥٣٢ .
٦٦- ينظر : اللسان ٥/١٥٦ .
٦٧- ينظر : معجم مقاييس اللغة ٥/١٤٦.
٦٨- ينظر : اللسان ٥/١٥٦ .
٦٩- ينظر :اللسان ٥/١٥٦، وتاج العروس ٣/٥٣٠ .

٧٠- ينظر: اللسان ١٥٦/٥، وتاج العروس ٥٣١/٣ .
٧١)- ينظر : اللسان ١٥٦/٥، وتاج العروس ٥٣١/٣ .
٧٢- ينظر : الصحاح ٨١٠/٢ ، واللسان ١٥٦/٥، وتاج العروس ٥٣١/٣.
٧٣- ينظر : اللسان ١٥٦/٥، وتاج العروس٥٣١/٣ .
٧٤- ينظر : المصباح المنير ص ٧٤٦ .
٧٥- ينظر : معجم مقاييس اللغة ١٤٦/٥ ، والصحاح ٨١٠/٢،، والمصباح المنير ص ٧٤٦، وتاج العروس ٥٣١/٣ .
٧٦- ينظر : اللسان ١٥٦/٥، المصباح المنير ص ٧٤٦، وتاج العروس ٥٣١/٣ .
٧٧- ينظر : الصحاح ٨١٠/٢، واللسان ١٥٤/٥، المصباح المنير ص ٧٤٦، وتاج العروس ٥٣١/٣ .
٧٨- ينظر : الصحاح ٨١٠/٢، واللسان ١٥٥/٥، ١٥٧، وتاج العروس ٥٣٠/٣.
٧٩- ينظر : أساس البلاغة ص ٥٥٣، والصحاح٨١٠/٢، واللسان ١٥٥/٥، والمصباح المنير ص ٧٤٦ .
٨٠- ينظر : معجم مقاييس اللغة ١٤٦/٥، والصحاح ٨١٠/٢ .
٨١- ينظر : الصحاح ٨١٠/٢، اللسان ١٥٦/٥، والمصباح المنير ص ٧٤٦، وتاج العروس ٥٣١/٣ .
٨٢- ينظر : معجم مقاييس اللغة ١٤٦/٥ .
٨٣- ينظر : التكملة والذيل والصلة ٣/ ١٩٢، واللسان ١٥٧/٥، وتاج العروس ٥٣١/٣.
٨٤- ينظر : اللسان ١٥٦/٥ .
٨٥- ينظر : التكملة والذيل والصلة ١٩٢/٣، واللسان ١٥٦/٥ .
٨٦- ينظر : جمهرة اللغة ٤١٤/٢ .
٨٧- ينظر : المحيط في اللغة ٤١٣/٢ .
٨٨- ينظر : البحر المحيط ٤١٦/٧ .
٨٩- ينظر : تفسير ابن كثير ٤١/٤ .
٩٠- ينظر : تفسير الطبري ١٢٣/٢٣.
٩١- ينظر : مفردات القرآن للراغب ص ٣٤٣ .
٩٢- ينظر : تفسير القرطبي ٢٠٦/١٦، وتفسير البغوي ١٠٨/٧.
٩٣- ينظر : تفسير الطبري ١٢٣/٢٣، وتفسير البغوي ١٠٨/٧، وتفسير الرازي ٢١٣/٢٥.
٩٤- ينظر : تفسير البغوي ١٠٨/٧، وتفسير الخازن ٦٧/٦ .
٩٥- ينظر : تفسير الواحدي ٥٧٠/٣، وفتح القدير ٦٣٢/٤.
٩٦- ينظر : أساس البلاغة ص ٥٥٣ .
٩٧- ينظر : تفسير الطبري ١٢٣/٢٣، والدر المنثور ٣٢٢/٥ .
٩٨- ينظر : تفسير الطبري ١٠٥/٢٣، وتفسير السمرقندي ١٤٤/٣ .
٩٩- ينظر : تفسير البيضاوي ص ٦٠٧، وتفسير أبي السعود ٢٤٢/٧، وتفسير الألوسي ٢٣٨/٢٣، وتفسير الخازن ٦٧/٦ .
١٠٠- ينظر : تفسير السمرقندي ١٤٤/٣ .
١٠١- ينظر : الكشاف٦٣٢/٤، والبحر المحيط ٤١٦/٧ .
١٠٢- ينظر : أساس البلاغة ص ٥٥٣، وفتح القدير ٦٣٢/٤ .
١٠٣- في ظلال القرآن ٣٠٣٨/٦، وينظر : مباحث في إعجاز القرآن ص ١٨٨، والكون والإعجاز العلمي في القرآن ص ١٦٤، ١٦٦ .
١٠٤- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ٦٥/٢ ـ ٦٦، ومباحث في إعجاز القرآن ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .
١٠٥- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ٦٨/١ ـ ٧٢، ٧٣، والمعجزة القرآنية ص ٢٠٩ ـ ٢١١، ومباحث في إعجاز القرآن ص ٢١١ ـ ٢١٣.
١٠٦- ينظر : المعجزة القرآنية ص ٢١٠، ومباحث في إعجاز القرآن ص ٢١٠ .

١٠٧- ينظر : الصحاح للجوهري ٦/٢٣٦٧، ولسان العرب ١٤/٣٥٤ .
١٠٨- تفسير ابن كثير ٣/٢٧٩ .
١٠٩- تفسير أبي السعود ٦/١٨٤ .
١١٠- البحر المحيط ٦/٤٦٤ .
١١١- فتح القدير ٤/٦٠ .
١١٢- مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٣ .
١١٣- مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٣،٧٠ .
١١٤- ينظر : مفردات القرآن للراغب ص ٢٤، ومعجم مقاييس اللغة ١/١٣١، والصحاح ٤/١٣٣٢ .
١١٥- الكشاف للزمخشري ٣/٢٤٥ .
١١٦- تفسير القرطبي ١٢/٢٦٤ .
١١٧- تفسير ابن الجوزي ٥/٣٩٠ .
١١٨- تفسير الطبري ١٨/١١٨ .
١١٩- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٣ .
١٢٠- ينظر : المعجزة القرآنية ٢٠٩ - ٢١٠ .
١٢١- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٣ .
١٢٢- ينظر : رصف المباني للمالقي ص ٤٤٠، ومغني اللبيب لابن هشام ١/١٦١ - ١٦٢.
١٢٣- ينظر : معجم مقاييس اللغة ٢/٤٣٠ ، ومفردات القرآن للراغب ص٢٩٥، ولسان العرب ١٢/٢٥١ .
١٢٤- ينظر : تفسير ابن كثير ٣/٢٧٩، وتفسير القرطبي ١٢/٢٦٥ ، والكشاف للزمخشري ٣/٢٤٥، وفتح القدير ٤/٦٠ .
١٢٥- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٣ .
١٢٦- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٠، ٧٣ .
١٢٧- ينظر : فتح القدير ٤/٦٠ .
١٢٨- ينظر : الكشاف ٣/٢٤٥، والبحر المحيط ٦/٤٦٤، وتفسير ابن كثير ٣/٢٧٩، والمحرر الوجيز لابن عطية ١١/٣١٦، وتفسير البيضاوي ص ٤٧١، وتفسير أبي السعود ٦/١٨٤ .
١٢٩- تفسير القرطبي ١٢/٢٦٥ .
١٣٠- تفسير ابن كثير ٣/٢٧٩ .
١٣١- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٤ .
١٣٢- تفسر أبي السعود ٦/١٨٤ .
١٣٣- ينظر : تفسير البيضاوي ص٤٧١ .
١٣٤- ينظر: فتح القدير ٤/٦١ .
١٣٥- تفسير ابن الجوزي ٥/٣٩٠ .
١٣٦- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٤ .
١٣٧- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٤ .
١٣٨- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٢، ٧٤ .
١٣٩- ينظر : تفسير القرطبي ٢/٢٢٦، وتفسير الطبري ١٨/١١٩، وتفسير أبي السعود ٦/١٨٥، وفتح القدير ٤/٦١ .
١٤٠- ينظر : مجلة الإعجاز العلمي ١/٧٥ .

المصادر والمراجع:

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي، للقسطلاني، (المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ط ٦، ١٣٠٥ هـ) .

(٢) أساس البلاغة، للزمخشري ، (دار صادر ، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م) .

(٣) الأغاني، للأصفهاني، تحقيق : د إحسان عباس، ود إبراهيم السعافين، والأستاذ بكر عباس (دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م) .

(٤) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن، للعكبري، تحقيق : الأستاذ إبراهيم عطوة عوض (دار الحديث، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ) .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) للبيضاوي (دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ).

(٦) أوضح المسالك، لابن هشام (مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، بدون تاريخ) .

(٧) بحر العلوم (تفسير السمرقندي) للسمرقندي (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م).

(٨) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (دار مكتبة الحياة، بيروت) بدون طبعة وتاريخ.

(٩) تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م).

(١٠) التصريح بمضمون التوضيح، لخالد الأزهري (دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ)

(١١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود ، محمد بن محمد العمادي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤١٤ - هـ ١٩٩٤ م) .

(١٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ).

(١٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (المكتبة العصرية، بيروت- مكتبة العبيكان- ط ١، ١٤١٨هـ)

(١٤) التكملة والذيل والصلة ، للصغاني (دار الفكر، القاهرة ، ١٩٧٣ م) .

(١٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (دار الكتاب العربي، بيروت ، ط ١، ١٤١٨ هـ)

(١٦) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري (دار المعرفة، بيروت، ط ٣، - معاد بالأوفست- ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨ م) .

(١٧) الداء والدواء، لابن القيم (مطبعة المدني ، ط ٢، ١٤١٠هـ ،١٩٨٩م) .

(١٨) الدر المصون، للسمين الحلبي، تحقيق : د أحمد محمد الخراط (دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م .
(١٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ) .
(٢٠) رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي (دار القلم دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م)
(٢١) روح المعاني للألوسي (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) .
(٢٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (تفسير ابن الجوزي) (دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م).
(٢٣) شرح المفصل، لابن يعيش (عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ).
(٢٤) صحيح مسلم، للقشيري (دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ، ١٩٩١م).
(٢٥) طبقات فحول الشعراء، للجمحي، شرح محمود محمد شاكر (دار المدني، جده، بدون طبعة وتاريخ) .
(٢٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (دار الفكر، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ) .
(٢٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر ، (دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م) .
(٢٨) فتح القدير ، للشوكاني (دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م).
(٢٩) القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤) .
(٣٠) الكشاف، للزمخشري (دار الكتاب العربي، بدون تاريخ) .
(٣١) الكون والإعجاز العلمي في القرآن، د منصور حسب النبي (دار الفكر العربي، ط ٣، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م) .
(٣٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (تفسير الخازن) (دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) .
(٣٣) لسان العرب، لابن منظور (دار الفكر ، ودار صادر ، بيروت ، ط ١، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠ م) .
(٣٤) مباحث في إعجاز القرآن، د مصطفى مسلّم (دار المسلم، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦) .
(٣٥) مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الأعداد : الأول ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م، والثاني ، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م، والثالث ، ١٤١٨هـ .

(٣٦) مجمل اللغة، لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م) .
(٣٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (المجلس العلمي بمكناس ، بدون تاريخ).
(٣٨) مشكل إعراب القرآن، مكي ابن أبي طالب، تحقيق د حاتم صالح الضامن (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م) .
(٣٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للفيومي (دار القلم، بيروت ، بدون تاريخ).
(٤٠) معالم التنزيل، للبغوي (تفسير البغوي) (دار طيبة ، ط ٤ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) .
(٤١) المعجزة القرآنية، محمد حسن هيتو (مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م .
(٤٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، ط ٢، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م) .
(٤٣) مغني اللبيب، لابن هشام، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية ، بيروت، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧ م) .
(٤٤) مفاتح الغيب (التفسير الكبير) للرازي (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م).
(٤٥) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصبهاني (مكتبة الإنجلو المصرية ، بدون تاريخ) .
(٤٦) الممتع في التصريف، لابن عصفور، تحقيق د فخر الدين قباوة (دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م) .
(٤٧) النكت والعيون، للماوردي (تفسير الماوردي)، راجعه وعلق عليه / السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الثقافة العربية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون طبعة وتاريخ).
(٤٨) همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق : أحمد شمس الدين (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨ م) .
(٤٩) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ ، ١٩٩٥م) .